روح العمل

للأستاذ منصور رجب
الأستاذ بكلية أصول الدين

أهدانى – مشكورا – سماحة السيد .. محمد علوان .. شيخ مشايخ الطرق الصوفيه رسالة المشيخة فى عهدها الجديد ومعها الاعداد التى صدرت من المجلة – مجلة التصوف الاسلامى – : أما المجلة فهى لسان حال المشيخة .. مشيخة الطرق الصوفية .. وشعارها قول الله تبارك وتعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

وأما الرسالة فتقدم نلقاء نبذة عن التصوف الاسلامى : رسالته .. مبادئه . ماضيه .. حاضره . وتتطلع الى مستقبل التصوف فى مركز البعث الجديد .. وهى اذ تتطلع الى المستقبل تنادى الصوفى أن تذكره بعهده الذى قطعه على نفسه .. فما من صوفى الا ويأخذ العهد على يد شيخ يمثل فكرة التصوف وما فكرته الا أن تكون بين الناس مثلا طيبا فى خلقك وسلوكك وايمانك بالله رب العالمين .. مثلا فى محرابك .. فى عملك .. فى حبك .. فالحب أول صفة من صفات الصوفى : الصوفى يحب عمله .. يحب شيخه .. يحب الناس كلهم .. يحب حتى الحيوان .. يحبه لا لشىء .. لا لغاية .. وانما يحبه لله .. ولله وحده .. اذا وصل الصوفى الى هذه الدرجة .. أو الى هذه المنزلة .. فقد وصل الى فكرة التصوف .. وانتظم فى سلك الصوفية ..

هذا الذى يصل مقامه كبير .. ومركزه عظيم خطير وقيمته عالية غالية خالدة : اسمعوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب يقول أو يروى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان من عباد الله لأناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله عز وجل .. فقال رجل : من هم يا رسول الله ؟ .. وما أعمالهم لعلنا نحبهم ؟ .. قال : قوم يتحابون بروح الله عز وجل من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها .. والله ان وجوههم لنور .. وانهم لعلى منابر من نور .. لا يخافون اذا خاف الناس .. ولا يحزنون اذا حزن الناس .. ثم قرأ قول الله تبارك وتعالى : « **ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » .

هذا الحديث الشريف .. يرسم الطريق أمام الصوفى .. يرسمه لتسير

فيه وتسير حتى تصل الى هؤلاء الذين هم ليسو بأنبياء ولا بشهداء .. لكن يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله عز وجل .

الطريق الى هؤلاء هو أن تحب كل شيء لله : تؤدى واجبك لذات الواجب .. تحب الناس لله لا لعلة . لا لغاية . لا لغرض .. تدافع عن وطنك لا رياء . ولا نفاقا . ولا زلفى لاحد .. وهكذا يكون سلوك فى هذه الحياة فى كل ناحية من نواحى عملك ونشاطك : فى محرابك .. فى حقلك .. فى مصنعك .. فى متجـــرك .. فى بيتك وبين أهلك .. فى كل شيء تقوم به أو تؤديه وتفكر فيه .

هذا هو الطريق .. طريق الصوفية .. يرويه ابن الخطاب .. أو يخطه عن رسول الله صلوات الله عليه . .وهو طريق لا أقول شاقا عسيرا .. بل سهلا يسيرا .. على من يراقب نفسه .. ويجاهدها ويخلص لله فى عمله فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »

نهاية الطريق هى : « أنك لا تخاف اذا خاف الناس .. ولا تحزن اذا حزن الناس .. بل ترضى بكل ما يصيبك من قدر الله وقضائه .. ورضى الله عن « رابعة العدوية » فقد سئلت : « متى يكون العبد راضيا عن الله تبارك وتعالى ؟ .. » فقالت : اذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة .. وليس معنى ذلك أن تكون « بليدا » كلا .. بل المعنى أن ترضى بكل ما يأتيك به مولاك .. ومن سار على الدرب وصل .

ونزولا على رغبة سماحة السيد محمد علوان سأسهم ان شاء الله فى هذه المجلة فأقدم للقارىء كلمة فى التصوف .. فى التاريخ .. فى الفقه .. فى السنة .. فى كل ما يهم الصوفى أن يعرفه من منبر هذه المجلة التى أرجو لها النجاح ان شاء الله .. وكلمتى اليوم عن «روح العمل» وأرجو أن يوفقنى وأن ينتفع به من هو فى حاجة اليه .. وأبدأ بكلمة عن : « روح العمل » ..

بعض الناس أصبح أدبهم فى ألسنتهم كلاما لا فى قلوبهم عمـــلا .. وهذا الادب لا يفيدنا فى شيء ما مطلقا فالفضيلة عملية لا قولية .. وقد حكم النبى صلى الله عليه وسلم على العمل الذى لا روح فيه حكم عليـــه بالبطلان .. أو هو قد حكم عليه بأنه لا يجزىء ولا يفيد .. فقال : « كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » وروى عنه أن رجـــلا صلى فى المسجد ثم جاء الى النبى صلى الله عليـــه وسلم فسلم فرد النبى عليه السلام فقال له : « ارجع فصل فانك لم تصل » وروى عنه أيضا أنه قال : « ان الرجل لينصرف وما كتب له الا عشر صلاته » والاحاديث فى هذا الباب كثيرة .

فما معنى هذا ؟ .. معناه أن العمل اذا كان عملا آليا لا روح فيه فانه

لا يجزىء ولا ينفع ولا يفيد .. وعلى هذا فالذى يصلى صلاة .. كنقر الديكة وهو عن ربه مشغول فلا صلاة له .. والذى يصوم عن الاكل والشرب فقط ولا يصوم عما حرم الله فلا صيام له .. والذى يتعالم فيذيع علمه على الناس ليقال عنه : انه عالم فلا جزاء له .. وهكذا قل فى كل عمل لا روح فيه .. وروح العمل « الاخلاص » .

الاخلاص انسان عين العمل .. فعمل بلا اخلاص كعين لا نور فيها .. تراها فتظنها صحيحة فاذا هى كلاعين .. لا تحمل الا شكلها .. أما نورها الذى به ترى وتبصر وتمشى وتقرأ فمنها مفقود موءود .

والآفة التى تشوه انسان عين العمل .. أو التى تأكل الاخلاص فلا تبقى ولا تذر انما هى « الرياء » ..

فكم من انسان يكثر من صلاته رياء ؟ .. أو حتى يصلى أصل الفرض أمام الناس رياء ؟ .. وكم من انسان يصوم كذلك ؟.. بل كم من انسان يظهر التودد اليك لحاجة فى نفس يعقوب قضاها ؟ .. وكم .. ؟ .. وكم .. ؟ ..

الرياء من المهلكات المدمرات الناسفات .. ومن يقصد بعمله الرياء فلا ثواب له فى عمله أصلا بل هو معاقب عليه .. هو وبال عليه ولذلك يقول الله تبارك وتعالى : « **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** » ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أدنى الرياء شرك » .

الطريق .. طريق الصوفية .. هدفه .. غرضه .. الغاية منه تطهير النفس .. ولست بمستطيع أيها الصوفى أن تطهر نفسك الا اذا تخلصت من الرياء .. وانما السبيل أن يكون لعملك روح .. وروح العمل الاخلاص ..

نحن الآن بصدد بناء مجتمع يسير فى موكب البعث الجديد .. فكفى ما أصابنا فى الماضى من تفرق .. وخصام .. وتنابذ .. تتطلع أيها الصوفى الى المستقبل على ضوء « الاخلاص فى العمل » .

أنا أعلم — وأنت تعلم — أن رجال الطرق الصوفية منتشرون فى طول البلاد وعرضها كالشرايين فى جسم الانسان .. ورجائى من كل واحد منهم أن يعكف على نفسه ليجعل لعمله روحا تشع منه الحياة .. على أسرته .. وجيرانه .. وكل ما يتصل به .. فشعار الصوفية .. الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .. « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » .

هذه كلمتى .. وما أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله .. عليه توكلت .. واليه أنيب ..

منصور رجب
الاستاذ بكلية أصول الدين